ثنائية اللغة وعلاقتها باللهجات المحلية

الشعر العربي الحديث انموذجا (دراسة تطبيقية)

م.د. ايثار شكري شاكر

جمهورية العراق وزارة التربية

drkhalidakber40@gmail.com|اميل

ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرة ثنائية اللغة وعلاقة اللغة الأم باللهجة المحلية لتلك اللغة ,وتُدرس الثنائية اللغوية ضمن مباحث اللسانيات أو ما يسمى (بالتواصل الألسني),فهي من المباحث المهمة التي تدرس وظائف اللغة التواصلية ,بدءا من السنن ووظيفته المتواضع عليها في إنجاز دلالة لمدلول معين,وتداول ذالك السنن في مجتمعات و حواضر معينة .

ويدرس البحث أهم الأسباب التي أدت إلى وجود ظاهرة ثنائية اللغة ,وعلاقتها بالاستخدام المحلي لتلك اللغة,وأثر ذلك الاستخدام في زيادة الطاقة التواصلية والتأثيرية في ذات الوقت ,ثم بيّن البحث أهم الاشكال التي ممكن أن تأتي بها هذه الظاهرة ,وجعلنا للبحث دراسة على ذلك تطبيقية من الشعر العربي الحديث.

Bilingualism and its relationship to local dialects)

Modern Arabic poetry is a model

M.D. Ethir Shukri Shaker

Search summary

The research aims to study the phenomenon of bilingualism and the relationship of the mother language to the local dialect of that language, and studies bilingualism within the linguistics investigations or the so-called

(linguistic communication), it is one of the important detectives that studies the functions of the communication language, starting with the tooth and its modest function on it in achieving a sign of a particular meaning, and the circulation of those years in certain communities and cities.

The research examines the most important reasons that led to the existence of the phenomenon of bilingualism, and its relationship to the local use of that language, and the effect of that use in increasing the communication and influence energy at the same time, and then between the research the most important forms that this phenomenon can bring, and made us to research a study on it applied from modern Arabic poetry.

المقدمة :

تُدرس الثنائية اللغوية ضمن مباحث اللسانيات أو ما يسمى (بالتواصل الألسني),ويكون ذلك التواصل بالتواضع على اللفظ ومعناه ضمن مجموعة بشرية تعيش ظروفا اجتماعية وعرقية معينة وتكون بذلك اللغة الأساس,حتى يطرأ متغيرا على ذلك السنن المتعارف عليه ,سواء تغير سياسي (احتلال–غزو)أو اجتماعي وثقافي (هجرة – زواج– دراسة) إلى غير ذلك من الاسباب.

ولقد ابتكرت الاجيال في مرحلة زمنية من وجودها ألفاظا تواكب ماتريد من معاني صارت بديلا عن الالفاظ القديمة وقد تلاقي قبولا أكثر في الاستخدام المحلي وترضي ذائقة الجيل الجديد ,حتى لأنها تنتشر كما تنشر النار في الهشيم , والسؤال هل أن الالفاظ المحلية الاستعمال يكون استخدامها خطأ بحق اللغة الام أم أنها ابتكار وتجديد لهيكلة الالفاظ ؟

وتأثر الشعراء كالمجتمع عامة بإدخال الالفاظ المحلية أو المتداولة الشعبية إلى أشعارهم ,والتي قد يكون لها أصل فصيح لكن كثرت استخدامها جعلتها عامية محلية ,كمحاولة تجريبية من الشعراء لإنعاش الحركة الشعرية وإثارة روح التغير والتأثير فيها .

وبالتالي فلغة الشعر العراقي الحديث لا تختلف كثيرا عن الحداثة الشعرية في الشعر العربي عموما وفقد تنوعت المفردات والتراكيب على حد سواء ,لم تكن من قبل مناطق شعرية فيما عرف العرب من شعر موروث [1].

ونعلم أن اللغة العربية لغة ضاربة في الأصالة ,وبقيت التجمعات البشرية تحافظ على سلامتها من حيث التركيب واللفظ وحتى مخارج الحروف وصفاتها ,وكانت الحواضر والمدن ترسل أبنائها هناك لتعلم منابع اللغة السليمة ,ولكن مؤثرات خارجية أدت إلى اكتساب المجتمعات ألفاظا جديدة استخدمها العامة كبديل للألفاظ الأصلية ,وسنعرض لذلك بعض الأسباب التي أدت الى ذلك .

أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة ثنائية اللغة:

أولا : الاسباب السياسية والتاريخية

كان لكل بلد من بلداننا العربية على نطاق الوطن العربي غزو واحتلال ,تاركا وراءه مجموعة متراكمة من الألفاظ سواء على صعيد الاستخدامات العسكرية أو الاجتماعية , من بيع وشراء وغيرها ,مما جعل هذا الرصيد الجديد من الالفاظ بمرور الزمن يندمج مع ألفاظ اللغة العربية الفصحى بدون تميز أنها لفظة أجنبية ودخيلة .

من هذه الالفاظ على سبيل المثال لا الحصر في العراق هناك ألفاظ محلية الاستخدام كثيرة لها أصول تركية؛ بسبب ما خلفه الغزو العثماني على البلاد في مرحلة من المراحل التاريخية وأخرى ذات اصول فارسية وكذلك اجنبية,من هذه الالفاظ (نجانة)(دولكة) وهي أواني ,كذلك (بقجة)وهي ما يوضع فيها الملابس كبديل عن الحقيبة اليوم,(دولمة) اسم اكلة عراقية معروفة .

من الالفاظ (دادا) و(باشا) و(افندي) ,كذلك لفظة (جك) وهي انكليزية الاصل وغيرها الكثير ,نجد كذلك في سوريا والمناطق المجاورة ألفاظا مشابهة و أخرى غيرها بسب ذات الاحتلال ,كذلك نجد في مصر أن الاحتلال الفرنسي كان له الاثر في دخول الكثير من الالفاظ وتداول العامة لهذه الالفاظ جعلها جزءا من اللغة الام منها (مدام) و(كوبري) و(فيلة) وغيرها كثير.

[1] - ينظر ناجي، سامي، التجريب اللفظي في الشعر العربي الحديث في العراق – قسم اللغة العربية – جامعة رابرين السليمانية – ص : 6 .

ثانيا :الاسباب الاجتماعية والثقافية

ومن أبرز الاسباب الاجتماعية في تلاقح الشعوب هو التزاوج والاختلاط بين حاضرتين مخلفتين في العادات والتقاليد والألفاظ أو حتى العرق وتأثر الواحدة بالآخرة ,مما يتيح فرصة للتواصل بالتعرف على سنن واستخدامات كل طرف للطرف الاخر,سواء كان ذلك بين الحواضر والمدن أو الارياف .

كذلك تعتبر الهجرة إلى البلدان العربية أو الاجنبية بسبب الحروب أو سياسة البلدان أو حتى بسبب الدراسة ,تلك الحركة البشرية للهجرة ,من الاسباب المهمة في خلق جو حاضن لإنشاء ثنائية لغوية متداخلة مع اللغة الاصلية الام حتى تصبح سننا جديدا يدل على مدلول معين يتم تداوله بين العامة من ثم التواضع على شكله ومعناه ,الذي قد لا يكون في اللغة الام معنى حرفي يحمل طاقتها في التواصل .

وممكن أن ندرس ظاهرة ثنائية اللغة على الشعر العربي الحديث واعتباره ارضية صالحة للتطبيق ,ونبحث في كيف وظف الشعراء على الصعيد العربي في هذه الحقبة تلك الخاصية وأهم الاشكال التي أستخدمها الشعراء في ذلك التوظيف ومناقشة إلى أي مدى ساعد إدخال هذه الثنائية إلى لغة الشعر الحديث في تعزيز الطاقة التواصلية بين المرسل والمرسَل إليه .

وعلى ما سبق ذكره ممكن أن ندرس ظاهرة ثنائية اللغة في الشعر العربي الحديث ضمن أشكال ظهرت في استخدام الشعراء ومنها تنطلق محاور البحث على :

أولا :التجديدات القياسية

تميل مفردات اللغة نحو النمو والتكاثر, وذلك نتيجة طبيعية للنشاط الانساني في الوجود ,فهناك أشياء تستحدث تحتاج إلى أسماء وهناك اخرى تهمل فتنسى بمرور الوقت وتنقرض ,وللحصول على هذه الالفاظ الجديدة هناك طرق مختلفة من هذه الطرق ,الاشتقاق ,والذي يعني أخذ كلمة جديدة من أصل موجود بعد إضافة بعض الملحقات أو الحروف ,او ربما الحركات فقط تكفي لإنشاء صيغة جديدة تحمل معنى جديدا.[2]

[2] -ينظر ,أسس علم اللغة ,ماريو باي,ت احمد مختار عمر,عالم الكتب ,ط9 ,القاهرة ,2010 ,ص:154 .

"إن القياس منفردا لا يمكن أن يكون هو وحده عامل تطور,وليس بأقل صحة من ذلك التبديل الدائم و بأشكال جديدة إزاء أخرى قديمة إنما هو الجانب الاكثر إعجابا وذهولا في تحولات اللغة " [3] ,وللعامل الزمني أثر كبير في تحديث الاستخدام اللفظي ,حيث أن لكل لغة مجموعة من المفردات بخصائصها الصوتية والصرفية التي منها ما أصبح يثقل على الاستخدام العام لأفرادها ؛ مما يجعلها مهجورة في الاستخدام .

بينما نجد في أجيال أخرى ضمن القرن الواحد تكتسب خبرة جديدة في استخدام الفاظا أكثر انسيابية من تلك التي هجرت تحاكي تطللعاتها وذائقتها ,فتكون هذه الالفاظ الاكثر استخداما والأكثر حداثة من غيرها ,على ذلك مثلا ما وظفه الشاعر العراقي يوسف الصائغ في قصيدته (حبة قمح) في قوله:

تكونين جارتنا

حلما

وأصونك

من يوقظ امرآةً خلف شباكها؟

فالمسافة ,لمّت ملابسها

وقالت أروح؟

.....حزين لأني سكتُ.....

.....لأنك أطرقت ..... [4]

فهنا قد استخدم الشاعر(لمّت) وإذا عدنا إلى مادة(ل م ت)في المعجم سنجدها تعني الملام أو اللوم (من العذل) مع ضم اللام للمتكلم المؤنث ,ولكن هنا في الاستخدام المحلي بتشديد الميم وفتح اللام صار

[3] - ينظرمحاضرات في الالسنية العامة - فردينان ده سوسر – ترجمة كا من يوسف غازي و مجيد النصر – دار النعمان للثقافة - لبنان -1984 – ص: 206 .

[4] - ديوان قصائد – يوسف الصائغ – دار الشؤون الثقافية العامة- العراق – بغداد – 1992 – ص: 23 .

معناها جمعت أغراضها , وهي بذلك تحاكي معنى (لملمت)الفصحى أي(لملمت هي) للمؤنث الغائب, وقد يكون (لمّت) القياس الجديد لي لفظ (لملمت) الفصيحة من باب التخفيف.

وكذلك بالنسبة لكلمة (أَرُوحُ)بفتح الهمزة وضم الراء للمتكلم ,فقد استخدم الشاعر هذا الاستخدام المحلي للفظة بدلا من (أذهب) البديل الفصيح لها ,قد يكون السبب هو بث عنصر المفاجأة وكسر أفق التوقع لدى المتلقي إزاء هذا التوظيف .

إذ أن راح رواحا سار في العشية ,ويستعمل في أي وقت كان ليلا او نهارا [5],وجاء في الحديث الشريف "واستعينوا بالغدوة والرّوُحة"[6].

إلى جانب الاستخدام في اللغة لمادة (راح)ومعناها (ذهب) بدا لنا استخداما جديدا للفظ له أصل في اللغة مع زيادة المبنى , وهو زيادة الهمزة المفتوحة في قوله (أَرُوحُ)والتي هي بمعناها المحلي لا يبتعد عن المعنى الفصيح وهو (أذهب), إذ أن مادة (أَروَحَ:الشيء انتن)[7] ,وذلك بفتح (الواو) للماضي الغائب على وزن أفعل,وبهذا المعنى يبدو أن هذه المادة لها معنى بعيداً عن المعنى المتداول للفظة المحلية (أَرُوحُ),والتي هي بذلك أقرب الى (راح) الفصيحة.

من ذلك أيضا قول الشاعر العراقي أحمد مطر :

قيل لي :

لا تتدخل في السياسة

شيدوا المبنى ...وقالوا

أبعدوا عنه أساسه!

---

[5]- ينظر:المعجم الوسيط ,مجمع اللغة العربية بالقاهرة ,(إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامدعبد القادر – محمد النجار),الناشر دار العودة, مادة راح – ص:380 .

[6] - فتح الباري شرح صحيح البخاري –زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي(736 -795)- تح محمود شعبان عبد المقصود و أبراهيم إسماعيل القاضي – مطبعة الغرباء –المدينة المنورة –السعودية –ص: 149 .

[7] - المعجم الوسيط – ص:158 .

أيها السادة عفواً.....

كيف لا يهتر جسمٌ

عندما يفقد راسه؟![8]

فهنا وظف الشاعر اللفظة العامية (راسه)والتي هي عبارة عن توليد من (رأس)وهو الاستخدام الفصيح للكلمة , والوزن يستقيم في الحالتين ولكن وظفها الشاعر بحذف الهمزة للتخفيف كما هي في استخدام العامة,وبهذا التوظيف أراد الشاعر شد المتلقي ولفت انتباهه في الخروج عن المألوف في اختيار الالفاظ في القصيدة والتجديد في قياسها من باب إضفاء الديناميكية والحيوية لها .

كذلك وظف الشاعر الفلسطيني محمود درويش الالفاظ العامية في قصائده مواكبة لحركة التجديد والتجريب التي كانت قد ظهرت ,من ذلك قوله:

أما رأيتم شارداً

مسافراً لا يحسن السفر !راح بلا زوادة ,من يطعم الفتى

إن جاع في طريقه

من يرحم الغريب ؟[9]

إذ وظف الشاعر الفلسطيني لفظة محلية الاستعمال لها أصل في اللغة الام ,ومع تداول استخدامها خضعت لتجديد القياس والتوليد ,وتلك هي (زوادة) لفظة محلية فلسطينية تعني ما يُحمل في السفر من طعام حدد السياق الاجتماعي اختيارها , وأصلها في اللغة (زاد) الثلاثية وردت في قوله تعالى:"وتزودا فإن خير الزاد التقوى"(البقرة:179),وذلك دعوة من الله عز وجل للعباد بالتزود بالتقوى للسفر الاخير لكل إنسان .

[8] -المجموعة الشعرية, أحمد مطر ,دار العروبة,بيروت , الطبعة الاولى ,2011 , ص:13 .

[9] - ديوان محمود درويش , دار العودة ,بيروت ,ط 1 ,2010 م 1 – ص:21 .

زيادة أحرف الزيادة على اللفظة واشتقاقها أضافت إلى المعنى طاقة تواصلية أراد الشاعر أن يعبر بها عن ما يحمل في السفر البعيد,حيث أن كلمة زاد صارت تعني الطعام المتناول للقائم والمسافر على حد سواء.

أيضا وظف الشاعر محمود درويش في غير موضع الاستعمالات المحلية للألفاظ من ذلك قوله:

وحين أعود للبيت

وحيداً فارغاً, إلا من الوحدة

يداي بغير أمتعة ,وقلبي دونما وردة

فقد وزعت ورداتي

على البؤساء منذ الصبـــح.....و رد اتي [10]

فهنا وظف الشاعر لفظة (ورد) في أخر البيت الاخير (ورداتي)- والتي ليس إلا الوقف رسم حدودها وميزها – أي اقفل راجعا , وهذا الاستعمال محلي اللفظ ,إذ حذفت منها الهمزة للتخفيف , وإن وجدت (أرد)في اللغة الفصحى لا تستخدم في هذا المقام.

ثانيا:توظيف الامثال محلية الاستعمال

كما عمد الشعراء العرب في كل وقت وزمن على توظيف المثل السائر في أشعارهم , وظف شعراء الشعر العربي الحديث الامثال المحلية كمحاولة منهم للتجديد وتوظيف كل ما هو غير مألوف للمتلقي,لإعادة حيوية الطاقة التواصلية بين المرسل والمرسَل إليه بعد أن عانت من فترة من القطيعة والهجران .

وكان الصائغ من الشعراء الذين وظفوا في أشعارهم فحوى الامثال المحلية من ذلك قوله:

[10] - ديوان محمود درويش ,م1- ص:31 .

وزنان مختلفان.....

وعينان واسعتان ....

وحجل ثقيل.....

وكحلٌ.....

وأسئلة

وفضول .....[11]

نجد الشاعر قد استخدم كلمة (حجل) وهي كلمة لها أصل في اللغة الفصحى,وتعني "(احجل) الدابة ,أطلق قيدها من إحدى يديها وشد الاخرى ,وفي وضوئه غسل بعض العضد مع اليد ,وبعض الرجل مع الساق , والعروس اتخذت حجلا ,والدابة قيدها بالحجل ,والتحجيل البياض من قوائم الفرس"[12]

وقد ذكر في الحديث الشرف ,عن أبي هريرة _رضي الله عنه _قال :سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم- يقول :"إن أمتي يُدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ,فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَته فليفعل"[13]

وكان الاستخدام الفصيح لهذه الكلمة تعرف كل ما ذكر من المعاني لمادة (حجل) بحسب السياق الذي يساق فيها كما نرى , ولان التداول المحلي لمادة الحجل على ما تتزين به المرأة ,ومن كثرت استخدامها بدت عامية , وأن الاستخدام الفصيح لها (خلخال),وقد وظفها الشاعر في القصيدة بشكل المثل العراقي المعروف(حجولك ثقال) , وهو مثل محلي الاستخدام يكنى به عن أن المخاطَب متكبر او أنه صعب المنال لا يمكن التواصل معه بسهولة ,وبهذا التوظيف استطاع الصائغ إيصال معناه الذي يريد إلى المتلقي بمعنى قد بات واضحا وجليا لديه .

---

[11]- ديوان يوسف الصائغ ,قصائد ,ص :83 .

[12]- المعجم الوسيط ,158.

[13] ينظر فتح الباري ,شرح صحيح البخاري , للامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 773 -852 هجري ,الرياض ,دار الفيحاء,ط3 ,2000,م1 ,ص:210 .

أيضا في هذا المضمار وظف الشاعر أحمد مطر في إحدى قصائده هذا النوع من الاستعمال المحلي ,كآلية وتقنية تواصلية يستطيع من خلال المثل المحلي المتداول بين المجتمع إقامة بناء ذلك التواصل وإعادة تقويم جسوره بين النص المرسِل وبين المتلقي لهذا النص .

إذ قال :

بلع السارق ضَفه

قلّب عباس القرطاس

ضرب الاخماس لأسداس

بقيت ضَفه

لملم عباسٌ ذخيرتهُ ,والمتراس [14]

إذ وظف الشاعر (ضرب الاخماس لأسداس) بشيء من التحوير من المثل المحلي (يضرب أخماس باسداس) ,وذلك مثل يضرب للرجل من شدة حيرته وقلة حيلته اتجاه أمر ما كثر له تفكيره واقلق باله ,وهو استخدام عامي متداول ,وهذا التوظيف الذي استخدمه الشاعر في نصه يعتبر منبها للقاريء يجعله أكثر فهما للفكرة والصورة الذهنية التي أراد الشاعر تصويرها وإيصالها له .

وهنا تظهر وظيفة الادب في المجتمع إذ "لا تتأثر بنية النص ضمن سياق الاتصال فقط بمعرفة الفرد أو مقاصده أو بوظائف النص في تأثيرها في مواقف أفراد اخرين وسلوكهم ,فإن جماعات و مؤسسات وطبقات تتواصل ايضا تواصلا جماعيا أو عبر أفرادها من خلال إنتاج النص,ويبرز كذلك مكان الفرد ودوره ووظيفته في هذه الابنية الاجتماعية من خلال سلوكه اللغوي"[15]؛لنعلم بذلك أن كل استخدام غير مألوف للشاعر في نصه هو انزياح أراد به الشاعر ترك وظيفة تواصلية في ذهن المتلقي .

[14] - المجموعة الشعرية ,أحمد مطر ,ص: 18 .

[15] - علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تأليف تون أ.فان ديك,ت .د.سعيد حسن بحيري,دار القاهرة,الطبعة الثانية ,ص:27 .

كذلك وظف الشاعر الفلسطيني محمود درويش الامثال المحلية الاستخدام في قصائده محاكاة لحركة التجريب والتجديد التي قام بها الشعراء في تلك الحقبة ومن ذلك قوله :

حالة أخرى .....

بديلا كان للغة الهزيلة

(والعائدون من الجنازة عانقوني

كسروا ضلعين

وانصرفوا

ومن عادتهم أن يكذبوا

لكنني صدقتهم

وخرجت من جلدي

لاغرق في شوارعك القتيلة)[16]

فهنا وظف الشاعر محمود درويش مثل يستخدمه العامية في كثير من البلدان العربية,وهو (خرج من جلده)ويكنى به عن الرجل الذي تنصل وتفلت من كل تلك القيود الاجتماعية والعرفية , وحتى الدينية ,فهو بهذا التوظيف أوصل إلينا المعنى الذي أراد باقرب وايسر طريقة ؛كون المعنى متداولا ومفهوما القصد من وراء استخدامه .

ثالثا: المعنى الحرفي والمعنى السياقي

[16] - ديوان محمود درويش , م1 ,ص : 251 – 252 .

يبقى للألفاظ في أي لغة معنى معجميا يتعارف عليه مجموعة من المستخدمين , ولكن بعد انتشار هذا اللفظ وتداوله فقد يحدد معناه أحد الاسباب السياقية المعروفة ,فمنها الاجتماعية أو النفسية او الحالية ,إذ أن اللفظ هو نتاج احتكاك المجموعة البشرية المعينة بذلك اللفظ والتأثير به.

فيظهر على ضوء ما سبق للفظ معنيان الاول حرفي والثاني سياقي يحدده الحال والمقام [17],أو قد يحدده العرف الاجتماعي وقابلية التلقي الفردية والجماعية للفظ [18],لتظهر بذلك ثنائية اللغة جلية وواضحة .

ذلك أن لكل جماعة من الناس يعيشون ظروفا مختلفة – كما ذكرنا– تؤهلهم على إنتاج ألفاظا تختلف عن جماعة أخرى أو توجه استخدام اللفظ ضمن سياقاتهم الاجتماعية أو النفسية أو العرقية والحضارية إلى غير ذلك من السياقات المعروفة .

على ما علا ذكره مثالا, قول الشاعر أحمد مطر في قصيدته (نبوءة):

اسمعوني قبل أن تفقدوني

يا جماعة

لست كذابا .....

فما كان أبي حزبا

ولا أمي إذاعة

إنّ العبدَ

صلى مفردا بالأمس

في القدس

[17] - ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ,د.تمام حسان ,عالم الكتب,القاهرة ,الطبعة الرابعة, 2004 ,ص:39 .

[18] - ينظر في اللسانيات ونحو النص ,ابراهيم محمود خليل ,الجامعة الاردنية ,دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ,ط 3 , 2015 ,ص :32 .

ولكن "الجماعة"

سيصلون جماعة ![19]

فهنا كلمة (يا جماعة) التي وجه الشاعر إليها النداء وكان في موقف المخاطب لهم,كانت استخدام محلي للفظة , وهي نكرة مقصودة ,فلم يقل اسمعوني جميعا كاستخدام فصيح أو أنه لم يقل ,يأيها الجمع أو يا قوم ,ولفظ (ياجماعة) تستخدم كأسلوب محلي للإقناع أكثر لمن وجهت لهم الرسالة .

أما الجماعة الثانية ,فهنا عرفها الشاعر , وبذلك انتقل الشاعر بنا من اسلوب المخاطب في (ياجماعة) الاولى الى اسلوب الغيبة ,إذ يقصد(بالجماعة)الثانية هم ذات الجماعة الذين وجه اليهم النداء ابتداءا,فالثانية يعني بها نفس ثلة الرجال لهم في ذهن المتلقي صدى نفسي واجتماعي ,فهي دال لمدلول عرفه المتلقي تحت صفات خاصة يحمل دلالات معينة عزز الاستخدام المحلي للفظة وتكرارها ذلك الصدى وأكده في نفس المتلقي .

أما الاستخدام الاخير (سيصلون جماعة)هو الاستخدام الحرفي الفصيح للفظة ويحدد ذلك السياق ,والذي شكل مفارقة فجرها الشاعر في نهاية قصيدته وقوامها التضاد كمواجهة بينه كفرد وبين الجماعة من جهة وبين الصلاة المفردة للعبد وصلاة الجماعة التي بنيت على نفاق تلك الجماعة.

هذا التغير الوظيفي للكلمة نفسها وتجاذب المعنى بين الحرفي والسياقي لتلك الكلمة إنما تعزز في إضافة طاقة تواصلية للمفردات وتنمي طاقتها في الاستعمال اللغوي ,فهي تخدم اللغة من حيث الاستعمال لا من حيث اضافة رصيد جديد من المفردات إلى تلك اللغة.

فبالتالي"اللغة تواصل ويستحيل ان نوصل شيئا اذ لم يكن الخطاب مفهوما,ينبغي للخطاب اي خطاب ,أن يكون قابلا للفهم وتلك هي البديهية الاساسية لقواعد الكلام"[20],وعلى هذا يصل الكلام إلى حد البلاغة أو منها يخرج إلى حد الاسفاف والتهريج .

كذلك نجد الصائغ يوظف ذات الاسلوب إذ يقول :

---

[19] -المجموعة الشعرية ,احمد مطر ,ص :15 .

[20] - بنية اللغة الشعرية,جان كوهن ,ت محمد الولي ومحمد العمري ,دار توبقال للنشر,ص:101.

و مئذنةُ....

ذات تاج

عراقية

كرامتها على طول هامتها

نبت السعف

من غيرة,

فوق هامتها [21]

نجد أن الشاعر يوسف الصائغ وظف في قصيدته لفظة (غيرة) بكسر الغين , وهنا اللفظ محلي , بينما في الاصل اللغوي الفصيح يكون بفتح (الغين),ويعني كراهة شراكة الغير في التودد إلى الحبيب ,وإلى جانب الاستخدام الفصيح للفظة يأتي الاستعمال المحلي , والذي بمعنى النخوة و الكرامة في التداول العراقي المحلي للفظة ,فإذا أريد شحذ المقابل واستنهاض همته ونخوته يقال له :" لا يابو الغيرة"ولذا فقد كان السياق الاجتماعي له الاثر الكبير في خلق هذه الثنائية اللغوية وتوجيه معنى اللفظ من معنى حرفي وسنن كان قد تواضع عليه مجتمع ما إلى معنى وجه تتداول هذا المجتمع معناه إلى إتجاه اخر .

فهنا بتركيب هذه الصورة وتوظيفه هذه اللفظة المحلية الاستخدام رفع من الطاقة التواصلية للنص ,إذ لعبت اللفظة دورها في إثارة العاطفة لدى المتلقي ,فلم يكتفي الشاعر بتشبيه المرأة العراقية بالمئذنة متوجة بتاج ,ذلك التاج يختلف عما هو متعارف عليه فيما يرصع التيجان من مجوهرات ,فهذا التاج مرصع بالكرامة والنخوة وليزد الصورة ثباتا والتصاقا بالمرأة العراقية وملازمة لحالها قال:

نبت السعف

[21] - ديوان يوسف الصائغ , قصائد ,ص: 418 .

من غيرة ,

فوق هامتها

إذ قال: (نبت) ولم يقل (وُضع) كما توضع التيجان؛لئلا يُتَوهم أنها ممكن أن تضع غيرتها جانبا, والسعف هو الرمز المستخدم لتلك النخوة والكرامة,وهنا تكمن الشعرية من وراء هذا الاستخدام والتوظيف.

وقد يعود هذا التفريق الالسني للمفردات والتجديدات المستمرة الابتكار ضمن تأثير الرقعة الجغرافية ,والتي لاتمنع بدورها من حدوث تفريعات مستمرة في كتلة أحادية اللغة,وبذلك ستتطور اللغة ضمن منطقتين متباعدتين

أيضا وظف الشاعر مظفر النواب في قصيدته ظاهرة ثنائية اللغة كما وظف غيره من الشعراء من أبناء جيله ,كمحاولة لمجاراة حركة التجديد- كما أشرنا- على غرار تجاذب اللفظ بين معنيين الحرفي والسياقي ,من ذلك قوله :

والشريف الشريف شهامته ناقصة

اركليهم فأقدارهم يركلون

وأقدارنا القوة الضاربة[22]

فهنا لفظة (سالبة) لفظة في الاستخدام المحلي معناها ما هو ضد الموجب,بينما مقام الحال وما أراد الشاعر توجيه معنى اللفظ إليه في قصيدته يأخذ بعدا تداوليا يفرض معنى جديدا غير المعنى الاول , وهذا المعنى الجديد هو (ناقصة)حدده السياق الاجتماعي التداولي متضاما إلى سياق الحال والمقال , وقد

[22] -الاعمال الشعرية الكاملة ,مظفر النواب ,طبعة جديدة,ص:30 .

يكون توظيفها لمراعاة الايقاع في المقطع دورا هاما في ذلك,أو قد يكون النزول عند رغبة المتلقي الذي تداول هذا اللفظ بهذا المعنى.

رابعا: العامة في الالفاظ والترتيب

وظف الشعراء الالفاظ العامية التي لا أصل لها في قياس اللغة الام ,وبذلك نعلم أن الالفاظ دخيلة على اللغة بسبب من الاسباب التي ذكرت في بداية المبحث ,ولعب التداول الاجتماعي والفروق الاجتماعية في الاستخدام في تحديد معنى الالفاظ و توجيهها,إلى جانب عدم وجود قياس لغوي لها في اللغة الام أو توليد أو اشتقاق ,ومن هذه الالفاظ ما وظفه الشاعر محمود درويش في قوله:

ليس قلبي لي لأرميه عليكم تحية

ليس جسمي لي لكي أصنع تابوتا جديدا ووصيه

ليس صوتي لي لكي أقطع هذا الشارع المرفوع فوق البندقية

فارحموني ,أصدقائي

وارحموا أم الزغاريد التي تبحث عن زغرودة أخرى

لميلاد المرايا من شظية[23]

فهنا وظف الشاعر كلمة (زغاريد)وهي لفظة محلية الاستخدام تواضع عليها المجتمع المصري والفلسطيني والسوري على أنها تلك الاصوات التي تطلقها النسوة في الافراح,بينما نجد في بلدان أخرى لهذا المعنى لفظ اخر ,ففي العراق (هلاهل) وفي الخليج (يباب) ما يدلل على أن الالفاظ العامية التي لا اصل لها في اللغة الام تتأثر بالعوامل التي يعيشها مجتمع بعينه عن مجتمع أخر .

[23] - ديوان محمود درويش ,م2 ,ص:188 .

واستطاع الشاعر بهذا التوظيف منح معنى تواصلي جديد ؛إذ هو يعني ما يقول إذ استخدم كلمة(زغاريد)في قوله: وارحموا أم الزغاريد؛كون اطلاق الزغاريد في فلسطين أخذ منحا أخر , إذ تطلقها النسوة وبالتحديد أمهات الشهداء على أبنائها .

كذلك من الالفاظ التي وظفها محمود درويش في قصائده وتعتبر لفظة محلية الاستخدام ,ولا أصل لها في اللغة العربية الام هي (الزنزلخت)وهي نبتة مدارية عرفت كنبات ظلي ,وهي لفظ فارسي أدخل الي الدول العربية وشاع وتداول باللفظ نفسه ,إذ قال :

فلتدخلوا في أريحا الجديدة سبع ليال قصار فقط ,

فلن تجدوا طفلة تسرقوا ضفيرتها ,أو فتى تسرقون فراشاته

ولن تجدوا حائطا تكتبون عليه أوامر تنهي عن الزنزلخت وعنا[24]

أيضا من الامثلة ما وظفه السياب في قصائده من الألفاظ التي لا أصل لها في اللغة ولا في القياس ,من ذلك قوله في قصيدته (المومس العمياء):

وتوسلته"فدى لعينيك–خلني –بيدي أراها"

ويكاد يهيل ما يغلق من ناظريها عماها

قلب تحرق في المحاجر واشرأب يريد نورا

وتمس أجنحة يداها[25]

فهنا استخدم الشاعر كلمة (خلني)وهي لفظ من (خلّ) محلية الاستعمال لا علاقة لمعناها المتداول بمعناها في اللغة الام ,وإنما ظل الاستخدام الشعبي ينحتها حتى أعطى الشكل معنى جديدا,وهذا ما يسمى ب(التأثيل الشعبي),وهي الحالة التي تأخذ به الكلمة "تفسيرا جديدا,دون أن يتغير شكلها"[26].

[24] -ديوان محمود درويش ,م2,ص:230 .

[25] - ديوان بدر شاكر السياب ,م2 ,دار العودة بيروت, لبنان ,ط 2016 ,ص:150-151 .

أيضا استخدم الشاعر السياب لفظة(خطية)وهي لفظة عامية لا أصل لها في اللغة بمعناها المتداول الذي يعني (مسكين)في الاستخدام الفصيح لها,وذلك في قوله:

متخافت الاضمار ,أبسط بالسؤال يدا ندية

صفراء من ذل وحمى ,ذل شحاذ غريب

بين العيون الاجنبية

بين احتقار ,وانتهار وازورار....أو "خطية"

والموت أهون من "خطية"

من ذلك الاشفاق تعصره العيون الاجنبية

قطرات ماء.....معدنية![27]

إيثار السياب في اختيار اللفظ العامي (خطية)قد يكون لما للكلمة من طاقة تواصلية مقارنة ب(مسكين)في نفوس الشعوب التي تتداولها ,أو يريد ان يبين لنا أنه قد كتب قصيدته في مجتمع يستخدم هذه اللفظة وهو(الشعب الكويتي الشقيق).

على ذلك لا يخفى أن حياة اللغة أو حتى كلمة منها مرتبطا إرتباطا وثيقا بتداولها,فالثنائية اللغوية هي نتاج الثنائية التداولية ,والتي بالتالي تخلق مايسمى ب(الاستبدال التداولي)فالكلمة الاجنبية التي تدخل مجال التداول اللغوي المحلي تؤدي إلى ترك الكلمة العربية ذات المعنى المطابق ,وهذا يؤدي إلى موت الكلمة بترك استعمالها وتداولها بين افراد المجتمع , أو تأهيلها للموت بحصرها في أطر تداولية يفرضها المقام.[28]

---

[26] - محاضرات في الالسنية العامة,ص:211 ,وينظر أفكار وأراء حول اللسانيات والأدب ,رومان جاكبسون ,ت فالح صدام الأمارة ,د.عبد الجبار محمد علي ,مراجعة د.مرتضى باقر,دار الشؤون الثقافية العامة ,بغداد,1990 ,ط الاولى ,ص:66.

[27] -ديوان بدرشاكر السياب,م2,ص:9 .

[28] -ينظر:ظاهرة الثنائية اللغوية وأثرها في تداول العربية الفصيحة, رشدي علي حسن,استاذ في اللغة العربية ,كلية الاداب,جامعة الزيتونة الاردنية,حوليات أداب عين شمس,المجلد 43 ,سبتمبر,2015 ,ص:174.

اما عن بواعث هذا الاستبدال يكون بسبب عدم وجود كلمة مختصرة تؤدي المعنى المراد تداوله مما يؤدي إلى اللجوء و إلى الاستعارة من اللغات الاجنبية واستعمال مفرداتها كبديل عملي يؤدي المطلوب ,وانسحب ذلك التداول من الاستعمال المحلي إلى إدخال الشعراء تلك البدائل إلى اشعارهم .

وتسمى هذه الطريقة ب(الاقتراض)وهي من الطرق التي تؤدي الي التغير المعجمي ,وهي من مصادر نمو اللغة وأعظمها , والتي بها تلجأ اللغات إلى الاقتراض من جارتها بحسب المؤثرات ,فمنها ما يكون اقتراضها كثيرا ومنهم ما يكون اقتراضها أقل ,لكن في الغالب كل اللغات معرضة للاقتراض والتغير المستمر[29].

من ذلك استخدم الشاعر مظفر النواب كلمة (صابون) و(مكياج)في قصائده من ذلك قوله:

كثرة ما تحشى بالتبن فقاعات الصابون

فتصبح اسماء كبرى[30].

وفي موضع اخر :

ساح المكياج على أوجههم والشرف

أينك مولاي ؟[31].

فهنا كلمة(صابون)و(مكياج) ألفاظا عامية لا أصل لها في اللغة العربية الام ,كلمات أجنبية وافدة من لغات لاتينية عمد الشاعر على استخدامها في قصيدته وتوظيفها من ضمن كلمات النص ؛لتداول المجتمع لها والتعارف عليها كبديل سهل ومختصر في الاستعمال.

أما بالنسبة إلى العامية في الترتيب ,فذلك يكون في الصياغة وليس في الالفاظ ,ويكون بمخالفات ما جاءت به اللغة العربية من قواعد عرفت عليها ,كتأخير الجار على المجرور,أو التغليب في الخطاب

---

[29] -ينظر –أسس علم اللغة,ص:156 .

[30] -الاعمال الشعرية الكاملة ,مظفر النواب ,ص:14 .

[31]- السابق,ص:21 .

للمؤنث بعد أن كان التغليب في اللغة العربية للمذكر ,وتقديم الضمير على مرجعه المتأخر في لفظه ورتبته [32],وعلى ذلك مثلا قول الشاعر بدر شاكر السياب :

في البدء لم اكو في الصراع سوى أجير

كالبائعات حليبهن,كما تؤجر للبكاء

فهنا استخدم الشاعر الاسلوب المحلي في التركيب ل امن حيث الكلمات بل من حيث الترتيب ,والذي بذلك قد تكون تأثرت اللغة الام باللغات الاجنبية الوافدة من حيث تقديم الضمير على الاسم الظاهر المقصود بالإحالة المتقدمة,فهنا قدم الشاعر الضمير (هن)في (موتاهن)على مرجعه المقصود بالإحالة والمتأخر عنه في الترتيب وهو(النساء),وذلك على غير عادة اللغة العربية.

إذ جاء في التنزيل قوله تعالى:"أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"(محمد:أية24),فهنا جاءت الهاء في (أقفالها)ضمير تعود مرجعيته على ماتقدم ذكره في الاية وهي لفظت (قلوب).

كذلك وظف عبد الوهاب البياتي الاسلوب العامي في الترتيب من حيث عود الضمير إلى ما هو متأخر عنه في الترتيب وليس الى ما هو متقدم عنه في سياق الجملة أو النص ,من ذلك قول عبد الوهاب البياتي:

في ساحة المدينة

تجلده الرياح

تنوشه الرماح

سيصبح الصمت رهيبا عندما أكسر عند قدميك أبتي الاناء [33]

[32] - ينظر: ظاهرة الثنائية اللغوية وأثرها في تداول اللغة العربية الفصيحة,ص: 175

[33] -الاعمال الشعرية ,عبد الوهاب البياتي ,م2 ,1995,المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,بيروت,ص:25 .

فهنا قدم الشاعر الضمير في (قدميك)على الاسم الظاهر المقصود من وراء الاحالة ,وهو(ابتي), وهذا الكسر في الترتيب والصياغة يمثل مفارقة لدى المتلقي ونقطة يتمركز حولها تساؤله.

وإنما هذه المحاولات هي حركة تجديدية أراد بها شعراء هذا الجيل تجريب ماهو غير مألوف والخروج عن مقايس الفصاحة وشروطها التي وضعها النقاد القدماء بعد أن اصبحت قوالب جامدة لا توحي بعفوية النص ولا بطراوته إلى الحد الذي جعل طاقته التواصلية تخفت أو قد تموت, فلا يستطيع المتلقي لتلك الرسالة والنصوص التلذذ بها أو الاستمتاع والتأثر ,فضلا عن إذا كان للنص منحى أخر غير التلذذ و المتعة بل النفعية ,فكيف للرسالة أن تؤدي دورها ؟.

نتائج البحث

- تأثير الاحتلال على اللغة المتداولة في استخدام البلد المحتل ,وإدخال كلمات متعددة في سياقات حياتية مختلفة تفرضها طبيعة الاحتلال على حد سواء الاحتلال الفكري أو السياسي أو الاقتصادي أو حتى ما يدخل تحت الانبهار الثقافي .
- تأثير الجانب الاجتماعي على اختلاط اللغات وثنائيتها ,من حيث التأثير والتأثر و من أسباب ذلك مثلا الزواج والهجرة.
- استخدام الشعراء في الشعر العربي الحديث اللغة الثنائية متأثرين بذلك بالتجديد كما المجتمع ,على شكل تجديدات قياسية.
- وظف الشعراء في الشعر العربي الحديث الامثال المحلية الاستعمال كمحاولة للتجديد وإقامة الصلة بين ماهو منتج وماهو مقروء.

- وظف الشعراء في الشعر العربي الحديث الاساليب العامية على مستوى الالفاظ المحلية الاستخدام ,والتي لا أصل لها في اللغة الام ولا حتى في القياس وكذلك وظف الاسلوب المحلي في الصياغة وعلى مستوى الترتيب والإحالة .

- كان للسياق الاجتماعي والحالي ,دورا هاما في ظاهرة ثنائية اللغة وانتقال المعنى بينه وبين المعنى الحرفي للفظ.

- للمجتمعات البشرية اين ما كانت حضرية أو قروية وتحت اي عرق كان لها تطبيقاتها المعجمية المحلية المختلفة شيئا ما عن بعضها البعض ,ولذات المسميات ؛والسبب يعود إلى اختلاف ثقافة تلك المجتمعات وخصوصية مورثها اللغوي المتداول ضمن تلك الرقعة الجغرافية.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

1. ناجي، سامي، التجريب اللفظي في الشعر العربي الحديث في العراق – قسم اللغة العربية – جامعة رابرين السليمانية .
2. باي, ماريو ,أسس علم اللغة ,ت احمد مختار عمر,عالم الكتب ,ط9 ,القاهرة ,2010 .
3. ده سوسير,فردينان ,محاضرات في الالسنية العامة ,ت يوسف غازي و مجيد النصر – دار النعمان للثقافة – لبنان -1984 .
4. الصائغ ,يوسف ,ديوان قصائد , دار الشؤون الثقافية العامة, العراق , بغداد, 1992 .
5. مصطفى, ابراهيم واخرون ,المعجم الوسيط ,مجمع اللغة العربية بالقاهرة ,الناشر دار العودة.
6. الحنبلي,زين الدين أبي الفرج ابن رجب ,فتح الباري شرح صحيح البخاري(736 -795), تح محمود شعبان عبد المقصود و أبراهيم إسماعيل القاضي , مطبعة الغرباء ,المدينة المنورة,السعودية .
7. مطر ,أحمد,المجموعة الشعرية, دار العروبة,بيروت , الطبعة الاولى ,2011 , .
8. درويش,محمود ,ديوان محمود درويش , دار العودة ,بيروت ,ط 1 ,2010 .
9. العسقلاني,الامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر , فتح الباري ,شرح صحيح البخاري , 773 -852 هجري ,الرياض ,دار الفيحاء,ط3 ,2000 .
10. .
11. أ فان ديك, تون ,علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ,ت .د.سعيد حسن بحيري,دار القاهرة,الطبعة الثانية .

12. حسان,تمام اللغة العربية معناها ومبناها ,عالم الكتب,القاهرة ,الطبعة الرابعة, 2004 .

13. خليل,ابراهيم محمود, في اللسانيات ونحو النص ,الجامعة الاردنية ,دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ,ط 3 , 2015 .

14. كوهن,جان,بنية اللغة الشعرية,,ت محمد الولي ومحمد العمري ,دار توبقال للنشر.

15. النواب ,مظفر,الاعمال الشعرية الكاملة ,طبعة جديدة .

16. السياب,شاكر ديوان بدر شاكر السياب , ,دار العودة بيروت, لبنان ,ط 2016 .

17. جاكبسون,رومان, أفكار وأراء حول اللسانيات والأدب ,رومان جاكبسون ,ت فالح صدام الأمارة ,د.عبد الجبار محمد علي ,مراجعة د.مرتضى باقر,دار الشؤون الثقافية العامة ,بغداد,1990 ,.

18. حسين,رشدي علي, ظاهرة الثنائية اللغوية وأثرها في تداول العربية الفصيحة, رشدي علي حسن,استاذ في اللغة العربية ,كلية الاداب,جامعة الزيتونة الاردنية,حوليات أداب عين شمس,المجلد 43 ,سبتمبر.

19. البياتي,عبد الوهاب,الاعمال الشعرية,المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,بيروت,1995 .